

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت

سورة مكية، تبدأ بقوله تعالى:

﴿الْم ١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾
 ﴿الْم﴾ هي من الحروف، التي بدأت بها بعض السور للفت أنظار المشركين،
 وجذب اهتمامهم؛ لسماع ما بعدها من القرآن حال إعراضهم عن ذلك.
 ﴿أَحَسِبَ﴾ أَظَنَّ الناس ﴿أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ يعني يؤمنون، ويتمسكون بدينهم،
 ويعلمون مبادئه ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ لا يتعرضون للفتن، والمشقات، والأذى،
 والابتلاءات؟ أبداً لن يتركوا دون ابتلاءات.
 وهذا ليس خاصاً بهم، بل هي سنتنا في أصحاب المبادئ والدعوات.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ٣﴾
 يعني: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ اختبرنا بالابتلاءات، وأنواع الفتن ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من
 مؤمني الأمم السابقة، فما كان يصرفهم ذلك عن دينهم.

ونحن نخبر بهذه الفتن كذلك مؤمني هذه الأمة؛ لتمييز الصادق منهم من الكاذب.
 ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ منهم في إيمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ﴾
 المكذبين منهم بعد وقوع ذلك، كما علمه سبحانه قبل وقوعه.

وبعد أن بين ربنا أن في الناس من هو صادق في إيمانه، ومن هو كاذب فيه، وضع
 أن لكل منهما جزاءه، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾

يعني: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: الكفر، أو المعاصي ﴿أَنْ يَسْفِقُونَا﴾ ويفلتوا من عقابنا لهم؟ إن ظنوا ذلك، فقد ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ لأنفسهم، ويظنون بها إذ أننا لن نتركهم، وسنعاقيهم، وأما ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا﴾ الثواب، ويخاف العقاب، عند حلول ﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾ بالموت، وما بعده: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ المحدد للثواب والعقاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة وسنجازيه على رجائه هذا، واستعداده بالإيمان والعمل الصالح خيراً ﴿و﴾ الله ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل ما يقال من خير أو شر ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل ما يفعل من خير أو شر.

هذا، ولأن الصبر على الفتن والابتلاءات نوع من أنواع الجهاد، فإن الله عز وجل يقول:

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

أي: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ نفسه بالصبر على الطاعات، والبعد عن المعاصي، وجاهد الشيطان، وجاهد الأعداء ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن منفعة ذلك تعود إليه حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وعن جهادهم، وعن طاعاتهم.

ثم يخبر ربنا - تبارك وتعالى - أنه مع غناه عن خلقه، فهو يجازيهم على الخير أفضل الجزاء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

يعني: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التي ترضي الله، وتصلح البلاد، وتسعد العباد ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾ نستر ونصفح ﴿عَنْهُمْ﴾ ونسقط ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فلا نعاقبهم عليها، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ جزاء ﴿أَحْسَنَ﴾ من العمل ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

ولمَّا بين ربنا سبحانه أنه يجزي على العمل الصالح، ذكر من الأعمال الصالحة هنا بر الوالدين، فقال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ يعني: وأمرنا ﴿الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ﴾ الذين هما سبب وجوده، ولهما عليه غاية الإحسان ﴿حُسْنًا﴾ لهما، وبهما، في القول وفي الفعل.

﴿و﴾ لكن ﴿إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ في الألوهية ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ما لا يصلح أن يكون إلهاً - وكل ما سوى الله لا يصح أن يكون - ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ جميعاً في يوم القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ وأجازيكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان إليهما وبرهما، أو عدم ذلك، ومخالفتهما في الإشراك بالله، وعدم طاعتهما، لذلك اثبتوا على الإحسان إليهما، مع عدم الطاعة لهما في المعصية.

ولهذا يقول ربنا عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

ولمَّا بين تعالى أن الناس بالنسبة للإيمان قسمان: مؤمن وكافر، حيث قال:

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

بدأ يذكر قسماً ثالثاً منهم، وهو المذبذب في إيمانه، يقول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

أي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ فريق ثالث بالنسبة للإيمان، وهم ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ بلسانه ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ ولمَّا يدخل الإيمان قلبه، بدليل قول الحق: ﴿فَإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ﴾ بسبب الدين، انتساباً إليه، أو عملاً والتزاماً به، أو نشرًا له ودفاعاً عنه: اهتز إيمانه و ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما يناله من أذاهم ﴿كَمَذَابِ اللَّهِ﴾ فارتد عن الإسلام، هذا في حال البلاء، وأما في حال الرخاء، فيقول سبحانه عنه ﴿وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ للمؤمنين على أعدائهم ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أشركونا فيما نالكم من خير ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ ومتابعين لكم، وهذا منهم عين الكذب والخداع، والله لا يغيب عنه ذلك ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ جميعاً؟ بلى!!! لذلك هو يعلم ما في صدورهم.

وبالتالي، فهو عز وجل يعد المؤمنين بالخير، ويوعد المنافقين ويهددهم بالسوء، إذ يقول المولى عز وجل:

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (١١)

يعني: وسيجازي كل واحد من الفريقين بما يناسبه ويستحقه.

وبعد أن بين الله هذه الفرق الثلاث، يوضح أن الكفار لا يكفون عن دعوة المؤمنين إلى مذهبهم وباطلهم، بشتى الوسائل، حيث يقول جل وعلا:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (١٢) ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٣)

المعنى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليصرفوهم عن دينهم، وعن استقامتهم ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ طريقنا ومنهجنا، في السلوك، وفي التشريع، وفي الحكم، وفي كل شيء نحن عليه؛ لتتقدموا واتركوا ما أنتم عليه، مما هو سبب فقركم، أو تخلفكم.. إلخ ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ وآثارها وأضرارها عنكم إن كان فيما ندعوكم إليه من أخطاء.

ويكذبهم الله تعالى، ويرد عليهم في تنبيه المؤمنين، وتحذير لهم من الانخداع بهذه الدعوات الهدامة إذ يقول سبحانه:

أولاً: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ﴾ كما يقولون ﴿مِنْ خَطَايَاهُمْ﴾ إذا تركوا دين الله، أو هديه وشرعه، واتبعوه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ أبداً؛ حيث لا يحمل أحد يوم القيامة وزر أحد، فضلاً عما نشاهده في الدنيا من تنصل القوي من الضعيف، بعد أن يتخلى عن مبادئه؛ مرضاة لهذا القوي الكافر.

ثانياً: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يقولون.

ثالثاً: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزارهم، ﴿وَأَثْقَالًا﴾ لغيرهم ممن أضلّوهم، بسبب إضلالهم لهم ﴿مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

رابعاً: ﴿وَلَيْسَ لَكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال عقاب ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْرَوُونَ﴾ من إنكار البعث والحشر والحساب.

ورد في أول السورة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [العنكبوت: ٣]. وهنا يرينا الله تعالى بعض الذين فتنوا في دينهم، وأوذوا في الله من السابقين، وكيف كان صبرهم على هذا الإيذاء.. وكيف أن الصبر مع الإعداد يعقبه النصر.. يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٤] فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

أي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ عليه السلام ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يدعوهم إلى توحيد الله، وعبادته ﴿فَلَبِثَ﴾ أي: مكث ﴿فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله ولكنهم كذبوه، وسخروا منه، وأذوه.. ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ عقاباً لهم، فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾، وأما هو ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ ﴿وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ﴾ وهم المؤمنون الذين صبروا معه، وتحملوا الأذى من أجل إيمانهم ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: السفينة وقصتها ﴿آيَةً﴾ وعبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾، هذه قصة نوح عليه السلام.

ثم قصة أخرى: وهي قصة إبراهيم عليه السلام، يقول الله سبحانه:

﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمِيتِ ﴿١٨﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ؑ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ وهو يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته ما يلي:

- أولاً: دعاهم إلى دين الله، يا قوم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾. ثم حبيهم فيه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
- ثانياً: بين فساد ما هم عليه، يا قوم ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أصناماً ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ كذباً.
- ثالثاً: بين عجز آلهتهم، يا قوم ﴿إِنَّ﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ عاجزون ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ فلا تخافوهم.
- رابعاً: وجههم إلى الصواب ﴿فَابْتَغُوا﴾ يا قوم ﴿عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ واطلبوه منه ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ وحده ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ فضله وإنعامه؛ حيث إنكم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ والجزاء عنده وحده.
- خامساً: نهاهم عن التكذيب، وخوفهم من آثاره ﴿وَإِن تَكْذِبُوا﴾ وتكفروا ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ كقوم نوح ؑ، فعوقبوا، وأغرقوا، وأهلكوا، فلا تفعلوا فعلهم.
- سادساً: أخلى مسؤوليته عنهم.. ﴿و﴾ يا قوم لقد أبلغتكم، وهذا دوري فقط، إذ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ أَلْمِيتِ﴾ وليس عليه هداهم.
- وبعد أن رأينا تركيز إبراهيم ؑ معهم في بيان التوحيد، والرسالة يبين الله عز وجل له ولهم أمر البعث ويوضحه، فيقول جل جلاله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

أي: ﴿أَفَلَا غَفَلُوا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ وَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُدْخِلُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ ﴿فَيَسْتَدْلُونَ عَلَى صَحَّةِ الْبَعْثِ؟ أَخْبِرْهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وَسَيُعِيدُهُمْ وَسَيَحْاسِبُهُمْ.

إن كانوا لم يروا ذلك:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾

أي: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وانظروا إلى مخلوقات الله؛ لتعلموا ﴿كَيْفَ بَدَأَ﴾ اللَّهُ ﴿الْخَلْقَ﴾ أولاً..؟
﴿ثُمَّ﴾ كَيْفَ أَن ﴿اللَّهُ يُنشِئُ﴾ الْخَلْقَ ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وهي: الْبَعْثُ..
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وما دام الأمر كذلك، فهو سبحانه:

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾
يعني: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾
ترجعون جميعاً، فوحدوه إذن، وأطيعوا رسله، واستعدوا للقاءه.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: هاربين من عقاب ربكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فهما من كونه، وأنتم في قبضته.
﴿و﴾ أَيْضًا ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدافع عنكم.

ثم يصدر ربنا حكمه في الكافرين المصيرين، فيقول جل شأنه:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايُنِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَكُونُونَ لَكُمْ رَحِمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾

أي: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ الدالة على توحيدِهِ، والشاهدة بقدرته، ﴿و﴾ كفروا كذلك بـ ﴿لِقَائِهِ﴾ في يوم البعث؛ لأنهم أنكروا الآخرة. ﴿أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ ودخول جنتي، لعدم إيمانهم بها. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في هذه الدار التي أنكروها، وكفروا بها. وبعد أن اتضحت تمامًا هذه الأمور، يأتي جواب قوم إبراهيم عليه السلام على دعوته لهم للإيمان، والتوحيد، وترك الأصنام، يقول القوي القاهر:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤) يعني: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ له، حوارًا، ولا نقاشًا، ولا حتى جدالًا. بل كان رد الطغاة العاجزين عن الحوار!! حيث ﴿قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ لنستريح منه، ويكون عبرة لغيره، واتفق القوم على حرقه، وبالفعل ألقوه في النار.. ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ أي: جعلها بردًا وسلامًا عليه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: في إنجائنا لإبراهيم من النار. وخرج منها إبراهيم عليه السلام سليمًا معافى من أي أذى.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٥)

أي: ﴿و﴾ لما خرج من النار ونجا من المحنة..!!

﴿قَالَ﴾ لهم مستمرًا في بيان فساد عقيدتهم، وسوء تصرفهم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ تجتمعون عليها، وتتوددون لبعضكم البعض حولها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تتقطع هذه المودة، ويتفرق هذا التجمع، و ﴿يَكْفُرُ﴾

بَعْضُكُمْ يَبْغِزُ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿٢٦﴾ بسبب هذا الكفر.

﴿و﴾ يكون ﴿مَأْوَلَكُمْ﴾ ومقركم ﴿النَّارُ﴾ تقيمون فيها جميعاً، التابع والمتبوع، لا يخرج منها أحد.

﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ ينقذونكم من عذاب الله، فآمنوا خيراً لكم.

وبهذا تبين ثبات إبراهيم عليه السلام في دعوته، فلم تغيره المحنة، ولم تفتنه النجاة منها وفي هذا درس للدعاة إلى الله تعالى يوم القيامة.

ورأى الناس المعجزة النار التي تحرق، لم تحرق إبراهيم !! بل خرج منها سليماً بواصل دعوته.

﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾

يعني: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ﴾ عندما رأى هذه المعجزة ﴿لُوطٌ﴾ عليه السلام. وواصل إبراهيم دعوته في قومه ﴿و﴾ بعد مدة من الزمان، أمر بالهجرة من بينهم، لذلك ﴿قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ حيث أمرني ﴿رَبِّي﴾ بالهجرة ﴿إِنَّهُ هُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي يبعد أذى أعدائي عني ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمرني إلا بما هو خير.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى: وبعد أن نجينا إبراهيم من النار، وبعد أن هاجر إلى ربه، أنعمنا عليه بهذه النعم:

النعمة الأولى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ من فضلنا ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد أن كان وحيداً.
النعمة الثانية: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ وآتيناهم ﴿الْكِتَابَ﴾ أي: جنس الكتاب: كالطوراة، والإنجيل، والقرآن.

النعمة الثالثة: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ﴾ من ثناء حسن عليه، وصلاة كذلك عليه، وحب أهل جميع الملل له، والانتساب إليه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾.

النعمة الرابعة: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومعهم في الجنة.

وأما عن لوط الذي آمن له وهاجر معه، فقد نبئ وكلف بدعوة قومه، يقول الله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْنَكُمْ لَأَنْتُونَ الرِّجَالُ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾ ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ وهو يدعوهم إلى الإيمان بالله ﴿إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: الأعمال الفاحشة، التي ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم بدأ يفصل لهم بيان هذه الأعمال الفاحشة، فقال:

أولاً: ﴿أَيْنَكُمْ لَأَنْتُونَ الرِّجَالُ﴾ دون النساء، وهو: اللواط.
ثانياً: ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾ على المارة فيه، فتسرقونهم وتقتلونهم.
ثالثاً: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾ أي: في مجالسكم ﴿الْمُنْكَرَ﴾ في كل شيء من الأقوال والأفعال، علانية دون تخفٍّ به أو خجل منه، أو نهى من بعضكم لبعض. ولما قال لهم ذلك، ماذا كان جواب قومه له...؟
يقول تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ له: ﴿أَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ﴾ الذي تهددنا به ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما تخوفنا به من العذاب.

يعني: وصل بهم الاستهزاء منه إلى غايته، ولذلك لجأ إلى ربه، وطلب نصرته: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ الذين يشيعون الفساد بين العباد، ويحملونهم على ارتكاب المعاصي والفواحش.

يقول ربنا عز وجل:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

يعني: واستجاب الله دعاء لوط عليه السلام، وطلبه النصرة من ربه على قومه.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ إلى إبراهيم عليه السلام ﴿بِالْبُشْرَى﴾ وهي الولد: أخبروه و ﴿قَالُوا﴾ له ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ التي فيها لوط عليه السلام؛ حيث: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ وما زالوا مصرين على ظلمهم وكفرهم، وممارستهم للفواحش، التي نهاهم عنها لوط.

ولمّا سمع منهم إبراهيم عليه السلام هذا الكلام خشي الهلاك والعذاب على لوط، لذلك:

﴿قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٢)

أي: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم للملائكة: ﴿إِنِّي فِيهَا لُوطًا﴾ وإني أخاف عليه الهلاك. ﴿قَالُوا﴾ جواباً له وتطميناً: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾ منك ﴿بِمَنْ فِيهَا﴾ من الفاسدين والصالحين ﴿لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ من هذا الهلاك ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ ستهلك؛ لأنها ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الهالكين بسبب الرضا بما يفعلون، ولها إذا جزاء ما كانوا يفعلون.

وخرج الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام، بعد أن بشروه بغلام عليم. وبعد أن أخبروه بهلاك قوم لوط، ساروا إلى لوط ودخلوا عليه، يقول الله تعالى:

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣٤)

يعني: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ تبشره بنصر الله له، وتخبره بإهلاك الله لقومه، ولكن وقبل أن يعرفهم - ﴿سَيِّئِهِمْ﴾ أي: ساءه مجيئهم؛ خوفاً عليهم من قومه.

﴿وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ أي: تصرفاً، حيث لا يدري ماذا يفعل؟ فهو إن أبقاهم عنده

لم يستطع منع قومه عنهم، وإن تركهم يمشون خاف عليهم من قومه أيضًا. وأحست الملائكة بحيرته: ﴿وَقَالُوا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ مما تتوقع حدوثه من قومك معنا يا لوط ﴿إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾ من الهلاك بإذن الله ﴿إِلَّا أَمْرَاتَكَ﴾ ستهلك، إنها ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

يا لوط: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بأمر الله ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ أي: عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ويخرجون عن طاعة الله، ويخالفون دعوتك لهم، ويهزأون منك.

وخرجت الملائكة من عنده، وجاء أمر الله بعذابهم، وبالفعل نزل بهم عذاب الله،!! حيث جعل قراهم عاليها سافلها، وأمطر عليهم ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].
يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾
أي: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ أي: من القرية التي هلكت ﴿ءَايَةً بَيِّنَةً﴾ أي: علامة واضحة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فيتعظون، فيرتدعون عن المعاصي.
هذا، وبعد أن تنتهي قصة قوم إبراهيم عليه السلام، ومعها قصة قوم لوط عليه السلام، تبدأ السورة في ذكر قصة أهل مدين، قوم شعيب عليه السلام، يقول الله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثَمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾

يعني: ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ﴾ أهل ﴿مَدْيَنَ﴾ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ﴾ الإيمان بالله، وتوحيده ﴿فَقَالَ﴾ لهم:

أولاً: ﴿يَنْقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ﴾ وأطيعوه، واعملوا بشرعه، ولا تخالفوه.
ثانياً: ﴿وَارْجُوا﴾ بعملكم ثواب ﴿الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: وآمنوا به، واستعدوا له بالعمل الصالح.

ثالثًا: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لها، ولأهلها.

فماذا كان موقفهم من دعوته هذه؟

يقول الله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ﴾ أي: الزلزلة الشديدة؛ لأنهم كذبوا، فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ بلدهم وأرضهم ﴿جَحِشِينَ﴾ ميّتين، باركين على ركبهم. وإلى بيان نهاية عاد قوم هود عليه السلام، وقصة ثمود قوم صالح عليه السلام؛ ليبين الله ما فعله بهم، تكون الآيات التالية: يقول الله تعالى:

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨)

المراد: ﴿و﴾ أهلكننا، كذلك ﴿عَادًا وَثَمُودًا﴾ لكفرهم وعنادهم.

﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ هذا الإهلاك لهم ﴿مِنْ﴾ آثار وبقايا ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ التي تمرون بها في سفرياتكم.

﴿و﴾ هؤلاء قد ﴿زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي، والعناد، ﴿فَصَدَّهُمْ﴾ بها ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ المستقيم، الذي أمروا باتباعه.

﴿و﴾ العجيب أنهم ﴿كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي: يدعون الفهم وبعد النظر، والوعي بكل شيء...!!

ثم تنتقل الآيات إلى هؤلاء الطغاة: قارون وفرعون وهامان، حيث يقول سبحانه:

﴿وَقَرْنُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنُ بْنُ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (٣٩)

أي: ﴿و﴾ أهلكننا ﴿قَرْنُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمْنَ﴾ أيضًا.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ كذلك نبي الله ﴿مُوسَى﴾ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالة على

وحدانية الله وقدرته، وهو يدعوهم إلى الإيمان.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وكذبوه، وعاندوه، وأصروا على كفرهم، فأهلكهم الله

﴿وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ﴾ عذابه، أي: أدركهم، فما هربوا منه.

وبعد أن ذكر الله قصص هؤلاء جميعاً، يعقب سبحانه بما يدل على أنه لا يعاقب أحداً إلا بذنب، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٠)
يعني: ﴿فَكَلَّا﴾ من هؤلاء ﴿أَخَذْنَا﴾ أي: عذبنا ﴿بِذُنُوبِهِ﴾.

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهي: الريح العاصف المحملة بالحصى.. أي: الرمال، وكان ذلك لقوم لوط، وعاد قوم هود.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ أي: عذبتة الصيحة، فأخمدت منهم الأصوات والحركات، وكان ذلك: لثمود قوم صالح، ومدين قوم شعيب.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، وكان ذلك: لقارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، وكان ذلك لقوم نوح، وفرعون، وقومه، وهامان ﴿و﴾ في الحقيقة ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ أي: يعاقبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والعصيان، واستحقاق العذاب.

وهكذا، كل ظالم لا يفلت أبداً من عقاب الله له، إن في الدنيا وإن في الآخرة، فلا يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، وتأخير نزول العذاب بهم.

ولمَّا بين الله تعالى أنه أهلك وعذب مَن أشرك، ولم ينفعه أو يمنع عنه العذاب معبوده، مثل اتخاذه ذلك المعبود الذي لا ينفع إلهاً، باتخاذ العنكبوت بيتاً لا ينفع، فقال عز وجل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١)

أي: مثل آلهتهم، كبيت العنكبوت، في الضعف وعدم النفع، وكذلك كل عقيدة غير الإيمان بالله.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو كان عندهم أدنى تفكير، واستعمال للعقل: لعرفوا ذلك، ولكنه العناد!!
ثم يؤكد ربنا ذلك بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤٢)
يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿يَعْلَمُ﴾ أن ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ أي: ما يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ ليس بشيء ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
فكيف لعقل أن يترك عبادة العزيز الحكيم، ويعبد ما ليس بشيء؟
على كل حال:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٤)
لما ضرب الله المثل بالعنكبوت، قال الكافرون: لم يضرب الله الأمثال بالهوام والحشرات؟ فرد عليهم سبحانه قائلًا: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تقريبًا لأذهانهم، ودعوة لهم.. فلا تستهينوا بها، ولا تتعجبوا منها، ﴿و﴾ بالرغم من ذلك ﴿مَا يَعْقِلُهَا﴾ ويستفيد منها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ الذين يعملون بطاعة الله، ويجتنبون سخطه.

ومع ضرب الله الأمثال بهذه الأشياء، فقد ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بقدرته؛ لحكمة وغاية، وليس عبثًا ولا لعبًا، وكذلك ضرب الأمثال بهذه، هو لحكمة وغاية، وليس عبثًا ولا لعبًا.
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ وعبرة وفائدة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا، وإن كنت يا محمد ما زلت تأسف على كفر قومك، وتحزن على عنادهم، فافعل ما يلي:

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥)

يعني: ﴿أَتُلِّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لتعرف أن إخوانك من الأنبياء عانوا ما عانيت، وتحملوا من الأذى ما يحدث لك، ومع ذلك ما قصروا في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة ولتتقرب بهذه التلاوة إلى ربك، ولتقف على ما أمر به المولى ونهى عنه، ولتبلغه - كذلك - إلى الدنيا كلها.

﴿و﴾ بعد ذلك: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي: داوم على إقامتها؛ حيث ﴿إِيتِ الصَّلَاةَ تَنَهًى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ جميعه، وفي الصلاة ذكر الله. ﴿وَلِذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ في النهي عن الفحشاء والمنكر، وأكبر ثواباً عند الله. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ من الخير؛ فيثبتكم عليه.

وإلى توجيه آخر، يبين طريقة إرشاد أهل الكتاب، إذ يقول ربنا تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦)

يعني: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أصلاً؛ فإن الجدل غير محبوب، وإذا كان ولا بد من ذلك، فجادلوههم بالطريقة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ من طريقتهم، أسلوباً، ومنهجاً، وغاية؛ وهذا مع المعتدلين فيهم.

وأما ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ فأفرطوا في العناد، أو أثبتوا لله تعالى الولد، أو قالوا إن الله ثالث ثلاثة، ودعت الظروف إلى جدالهم، فجادلوههم بغلظة وخشونة.

وهذا مثال للطريقة الأحسن في النقاش معهم.. ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو القرآن ﴿و﴾ بالذي ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ وهو التوراة، والإنجيل ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾.

ولكن: لا يفوتكم أن تعلنوا بكل وضوح إسلامكم؛ حيث قولوا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي: منقادون، وبرسلة جميعاً معترفون، وبشرعه ملتزمون.

ثم يقول ربنا سبحانه وتعالى لمحمد ﷺ:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧)

يعني: ﴿و﴾ كما أنزلنا الكتاب إلى من قبلك من الأنبياء ﴿كذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ وهو القرآن، فمصدر الوحي واحد: وهو الله، والدين واحد: وهو الإسلام. ﴿فالذين ءاتيناهم الكتاب﴾ من قبلك، وآمنوا به، واتبعوا أنبياءهم ﴿يؤمنون به﴾ أي: بالقرآن؛ لأن كتبهم ذكرته، وأنبياءهم بشروا بمحمد ﷺ.

﴿ومن هؤلاء﴾ أي: أهل الكتاب الموجودين في زمانك وإلى يوم القيامة ﴿من يؤمن به﴾.

هذا، ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ورسولنا ﴿إلا الكافرون﴾ المعاندون، المصرون بعد وضوح الحق على ما هم عليه.

ثم تقدم الآيات الدليل على كون القرآن معجزاً، وأنه من عند الله فتقول:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زَنَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٤٨) ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتُ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤٩)

يعني: والدليل على أننا أنزلنا إليك القرآن أنك ﴿ما كنت تقرأ ولا تكتب﴾ ولا تخطه بيمينك ﴿أي: ما كنت قارئاً ولا كاتباً. ولو كنت كذلك﴾ إذا لا زناب ﴿المبطلون﴾ المنكرون نبوتك.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن.

﴿بل هو﴾ أي: القرآن ﴿آياتٌ ينت في صور الذين أُوتوا العلم﴾ من المؤمنين.

﴿و﴾ حقيقة: فإنه ﴿ما يجحد بآياتنا﴾ إلا الظالمون؛ لأنهم بعد بيان المعجزة أصروا على كفرهم، فصاروا ظالمين. ومن جحودهم أنهم استمروا على ظلمهم..

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

أي: ﴿وَقَالُوا﴾ عنادًا ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما أنزل على موسى لآمنّا به!! ﴿قُلْ﴾ لهم: أولًا: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء، متى يشاء، مع من يشاء، ولا أملك منها شيئًا.

ثانيًا: ﴿وَإِنَّمَا أَنَا﴾ فقط ﴿نَذِيرٌ﴾ لأهل النار ﴿مُبِينٌ﴾ أي: أُبَيِّنُ لهم المعاصي التي تدخلهم فيها؛ ليجتنبوها.

ثم.. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

يعني: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا؛ لإقناعهم بنبوة محمد؛ آية تغنيهم عن كل الآيات...!!

وهي ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: القرآن ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ في كل زمان ومكان، ومحفوظ بحفظ الله، لا يزول، ولا يُنسَى، بخلاف الآيات المحسوسة، كالعصا واليد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: جعل القرآن هو الآية المستمرة، الباقية ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به، فينتفعون بهديه.

وبذلك ظهرت رسالته ﷺ، واتضحت أدلته، ومع ذلك لم يؤمن به المعاندون من أهل الكتاب، لذلك يقول له ربنا الحكيم الخبير:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥٢)

يعني: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي في دعوى الرسالة، ثم بين كونه سبحانه كافيًا في هذه الشهادة بكونه عالمًا بكل شيء ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو مطلع على أمري وأمركم، وسيجازيكم على كفركم وإنكاركم، وعنادكم.

هذا، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو كل ما يخالف ما جاء به محمد ﷺ ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ وآياته، وأنتم منهم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الحقيقيون؛ لأنهم خسروا أعظم الصفقات؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان، فهم الخاسرون يوم القيامة.

وبعد أن انتهى النقاش مع أهل الكتاب، يعود الحديث عن المشركين، فيقول تعالى:

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هُرِّ الْعَذَابِ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٣) ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥٤) ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوْقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٥)

أي: ﴿و﴾ هؤلاء الكفار ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الذي تخوفهم به، ويقولون لك: متى هو؟

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ موعد محدد له ﴿لِّجَاءِ هُرِّ الْعَذَابِ﴾ في الوقت الذي يطلبون، على أية حال سيأتيهم العذاب ﴿وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه.

وهذا أنكى بهم، وأكثر إيلاَمًا لهم.

عجيب!! ﴿يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ وهو آت لهم، ونازل بهم لا محالة؛ حيث ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ الذين هم منهم.

يا للهول..!!

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ وتحيط بهم النار ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾

أي: تغطيهم من كل جهاتهم لا يكون له مثل ﴿و﴾ فوق ذلك ﴿يَقُولُ﴾ الله تعالى لهم زيادة في إيلاهم، وتعذيبهم: ﴿ذُوقُوا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا. هذا، وبعد أن تحدث الله عن أهل الكتاب وجرائهم، وكذلك عن المشركين وجرائهم، التفت بالخطاب للمؤمنين تشريعاً لهم، فقال تعالى:

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إن صَبَّقَ عليكم المشركون أو أهل الكتاب في دينكم وعباداتكم، أو آذوكم، أو فتنوكم، وأنتم مقيمون بينهم، وفي دارهم وبلادهم فهاجروا واخرجوا من عندهم، ولا تخافوا ضيقاً ولا ضياعاً، حيث ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾ وسيفسح الله لكم فيها.

﴿فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ في بلد تكونون فيه: أسلم قلباً، وأصح ديناً، وأكثر عبادة.

ولا تخافوا كذلك موتاً، إذ يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

يعني: إن الذي تخافون، وتكرهون، وهو الموت؛ واقع لا محالة، فليكن في سبيل الله إذن...!!

خاصة وأنكم ﴿إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم على إيمانكم، وهجرتكم، وتحملكم.. خير الجزاء. بل أكثر من هذا يقول الحليم الكريم:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾

أي: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وأنتم أيها المهاجرون منهم بالطبع ﴿لَنُؤْتِيَنَّهُمْ﴾ لننزلهم ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ يقيمون فيها ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ المنوعة، ويكونون ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون ولا يموتون.

﴿نِعَمَ﴾ هذا الأجر: وهو ﴿أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ للصالحات، هؤلاء.

ويأتي على رأسهم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المشركين في إقامتهم، وألم مفارقة الأوطان في هجرتهم، وكذلك في فعل الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيئات. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في كل أحوالهم، الدينية والدنيوية، خاصة وأنه من المعلوم أن الصبر والتوكل هما زاد المهاجر.

ثم يقول ربنا للذين يهاجرون في سبيل الله: لا تخافوا - ثالثاً - على الرزق.

﴿وَكَأَنَّ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٠) وكم من ﴿دَابَّةٍ﴾ ضعيفة ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ معها، ومع ذلك ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيضاً، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة. وهو ﴿السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بإخلاصكم.

ثم يخاطب الله المؤمن في شأن الكفار تعجبياً من حالهم، فيقول عز وجل:

﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢)

يعني: ﴿وَلَيْنِ﴾ سألت أيها المؤمن هؤلاء المشركين عن الذي ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ويقرون بذلك، ومع ذلك يعبدون غيره ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يصرفون عن عبادته وحده..؟

وهو الله الذي خلق السموات والأرض.. إلخ، وهو الله الذي ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيوسع له، ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: يضيقه عليه، وآلهتهم لا تفعل ذلك، ولا تستطيعه، حقاً ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أيضاً.. ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٣)

يعني: ﴿وَلَيْنَ﴾ سألت أيها المؤمن هؤلاء المشركين، عن ﴿مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ ويقرون بذلك، ومع ذلك يعبدون غيره.

يقول تعالى للمؤمن: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على أنك تقر بما يقرون به، ثم ينفك الله بنعمة التوحيد والإيمان، على خلافهم.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ولو عقلوا: لأقروا واتبعوا، ولكنهم أقروا، وخالفوا. ومن المعلوم أن الذي جعلهم يخالفون بين فعلهم، وبين ما يقرون به هي الحياة الدنيا، وزينتها، واللغو واللعب فيها، لذلك يبين الله لهم أن ذلك ليس بشيء، إذ يقول:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

أي: أن ما يشغلهم ويلهيهم، لا يدوم، وهو كل ما في الحياة الدنيا. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ﴾ أي: الحياة الحقيقية، التي تدوم، فلا فناء لها، ولا زوال، ولا انقضاء.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه قد شغلته الدنيا عن الآخرة، ولكنهم لا يعلمون...!! ومع انشغالهم بالدنيا، وكفرهم بوحداية الله، وتفرد سبجانه بالقدرة..

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

يعني: ﴿ف﴾ إنهم مع شركهم وعنادهم ﴿إِذَا رَكِبُوا﴾ ذات يوم ﴿فِي الْفُلِكِ﴾ السفينة، وجاءتها ريح عاصف ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء له وحده.

﴿فَلَمَّا﴾ استجاب دعاءهم، و ﴿نَجَّيْنَاهُمْ﴾ مما هم فيه، وخرجوا ﴿إِلَى الْبَرِّ﴾ وأمنوا من الغرق ﴿إِذَا هُمْ﴾ مرة أخرى ﴿يُشْرِكُونَ﴾ وينسون ما كانوا له يدعون.

وذلك ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعم، ﴿وَلِيَسْتَمْنَعُوا﴾ بالحياة الدنيا وزينتها على كل حال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وبالعملهم عند زوال أملهم.

وعلى أية حال، هذا ليس بغريب عليهم..

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ
وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٦٧)

يعني: ﴿أ﴾ نسوا، وغفلوا ﴿وَلَمْ يَرَوْا﴾ بعيونهم ﴿أَنَا جَعَلْنَا﴾ مكة بلدهم
﴿حَرَمًا﴾ مصونًا ﴿ءَامِنًا﴾ لكل من فيه، في الوقت الذي كان ﴿يُخَاطَفُ النَّاسُ﴾
فيه ﴿مِنْ حَوْلِهِمْ﴾.

أنسوا هذه النعمة، وكفروا بالله!! هذا باطل.

﴿أَفِالْبَاطِلِ﴾ أي: الأصنام ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟..
﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ والمنعم بها ﴿يَكْفُرُونَ﴾؟.. إنهم حقًا ظالمون.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٦٨)

أي: ليس أظلم من هؤلاء، إن لهم في جهنم ﴿مَثْوًى﴾ إقامة، لا يخرجون منها أبدًا.
وهناك فريق آخر يحسن ذكركم، وختم السورة بهم، يقول عنهم ربنا عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩)

يعني: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في سبيلنا، وَلَوْ جَهَنَّا، ونصرة ديننا أي: جاهدوا
النفس، والشيطان والأعداء.. هؤلاء: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ إلى مرضاتنا في الدنيا وفي
الآخرة، وطرقنا إلى النصر على أهوائهم وشياطينهم، وأعدائهم وجهادهم، هذا إحسان.
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والتوفيق والتأييد.
